

الفتنة في الدين من خلال قصة أصحاب الكهف

إعداد الطالب / مدني غاغون إمام بخش

الرقم المرجعي للطالب / ay679

ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

دراسة مشروع بحث (هيكل ج)

إشراف الدكتور / سيد أحمد محمد نجم

أستاذ التفسير المساعد ونائب رئيس قسم التفسير

بجامعة المدينة العالمية

موسم فبراير 2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد و على اله و صحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

سورة الكهف مكية ، تعرضت لأربع قصص ؛ لتثبيت الإيمان بعظمة الله سبحانه وتعالى ، وهي قصة أصحاب الكهف ، وقصة صاحب الجنين ، وقصة موسى عليه السلام مع الخضر، وقصة ذي القرنين .

وأصحاب الكهف هم الفتية المؤمنون الذين خرجوا من بلادهم ، فراراً بدينهم ؛ قال تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَاهُمْ هُدًى ﴾ (1) ، ولجؤوا إلى غار في الجبل : قال تعالى ﴿ وَإِذْ اٰخْتَرْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ اِلَّا اللّٰهَ فَاوُوا۟ اِلَى الْكُهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهٖ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ اٰمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ (2) ، ومكثوا فيه ثلاثمائة وتسع سنين ، قال تعالى: ﴿ وَكَلِمَاتُ فِيْ كَهْفِهِمْ ثَلَاثٌ مِّائَةٌ سِنِيْنَ وَاَنْزَلْنٰهُمۡ تَسْعًا ﴾ (3) ، ثم بعثهم الله تعالى بعد تلك المدة الطويلة قال تعالى : ﴿ وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوْا بَيْنَهُمْ ۗ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۗ قَالُوْا لَبِثْنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالُوْا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوْا اَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ اِلَى الْمَدِيْنَةِ فَلْيَنْظُرْ اَيُّهَا اَنْرَكِيْ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ اَحَدًا ﴾ (4) .

فهذه القصة تعرض نموذجاً للعقيدة الراسخة في نفوس المؤمنين ، وما ينبغي أن يكون عليه المؤمن وقت الفتنة في دينه ، فيستلهم من هذه القصة منهجاً سديداً ، ودروساً وعبراً ؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ

(1) سورة الكهف الآية رقم 13

(2) سورة الكهف الآية رقم 16

(3) سورة الكهف الآية رقم 25

(4) سورة الكهف الآية رقم 19

وتم إعداد خطة البحث على النحو التالي :

المبحث الأول : مفهوم الفتنة في اللغة في القرآن الكريم
وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم الفتنة في اللغة

المطلب الثاني : تعريف الفتنة اصطلاحاً

المطلب الثالث : معاني الفتنة في القرآن الكريم

المبحث الثاني : أهم المحاور في قصة أصحاب الكهف ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أثر الشباب في نصره الحق (إنهم فتية آمنوا بربهم)

المطلب الثاني : من ثمار الإيمان الثبات (وربطنا على قلوبهم)

المطلب الثالث : الهجرة عند حدوث الفتن (وإذ اعتزلتموهم)

المطلب الرابع : الأخذ بالأسباب : اللجوء إلى الكهف ، اتخاذ الكلب حارساً ،

اصطحاب المال ، الأمر بأخذ الحيطه والحذر (وليتلفط ...)

المطلب الخامس : إحياء الموتى (وكذلك أعتزنا عليهم)

المبحث الثالث : أهم الدروس المستفادة من قصة أصحاب الكهف :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أثر التفكير في الدلالة على التوحيد

المطلب الثاني : قوة الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الثالث : مصاحبة الأخيار

الخاتمة

المراجع

المبحث الأول : مفهوم الفتنة في اللغة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم الفتنة في اللغة

الفتنة في اللغة لها معانٍ متعددة منها:

- قال الجوهري: (الفتنة الامتحان والاختبار، تقول فتنْتُ الذهب إذا أدخلته النار لتتظر ما جودته)⁽¹⁾.
ونقل ابن منظور عن الأزهري⁽²⁾ وغيره: ((جماعُ معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنْتُ الفضة والذهب إذا أذبتهما لتميز الرديء من الجيد))⁽³⁾.
وقال الخليل(4): ((الفتنُ الإحراق، ويسمى الصائغ الفتنان، وكذلك الشيطان، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار؛ الفتين))⁽⁵⁾.
وتأتي الفتنة بمعنى الإعجاب بالشيء يقال: فتنُّهُ يَفْتِنُهُ فتنًّا وفْتُونًا، ويقال فتن الرجل بالمرأة بمعنى أعجب بها، وفتنته المرأة إذا وهته بحبها.
وتأتي بمعنى الضلال والإثم، فالفاتن هو المضلل عن الحق، ولذلك سمي الشيطان فتنًّا وجمعها فتنانًا.
وتأتي بمعنى الإزالة والإمالة؛ يقال: فتننت فلانة فلانًا، معناه أمالته عن القصد، والمرأة الفاتنة هي المميلة عن الحق.

(1) لسان العرب: لابن منظور - ج4 ص3345.

(2) الأزهري: هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي " أبو منصور " أحد الأئمة في اللغة والأدب، ولد عام 370هـ مولده ووفاته بخراسان، نسبته إلى جده " الأزهر "، عني بالفقه فاشتهر به أولاً ثم غلب عليه التبحر في العربية فرحل في طلبها، من كتبه: " تهذيب اللغة "، و" غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء"، انظر: الأعلام: للزركلي - ج5 ص311.

(3) لسان العرب - ج4 ص3345.

(4) الخليل: هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي " أبو عبد الرحمن " من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد بالبصرة عام 100هـ، وتوفي بها عام 170هـ، له كتب منها: " معاني الحروف " و" كتاب العروض " و" النقط والشكل "، انظر: الأعلام - ج2 ص314.

(5) لسان العرب: ج4 ص3345.

وتأتي بمعنى الإحراق بالنار، تقول: فُتِنَ الشيء بالنار بمعنى أحرق، والفتين من الأرض المليئة بالحجارة السوداء، والتي تظهر وكأنها محرقة، ويقال للأمة السوداء أنها مفتونة لأن سوادها يجيل للناظر إليها وكأنها محرقة.

وأيضاً بمعنى العذاب تقول، فَتَنَهُ أي عَذَّبَهُ ليحوِّله عن رأيه، وربما في شدة ليختبره، وتأتي أيضاً بمعنى السحر تقول: منظر فاتن وفتان أي ساحر بجماله، يأسر الناظر إليه ويسحره من شدة جماله. وبمعنى البلبلة والاضطراب، تقول: أُخِدت الفتنة قبل استفحالتها بمعنى القلاقل والاضطرابات⁽¹⁾.

المطلب الثاني: تعريف الفتنة اصطلاحاً

توافقت آراء المفسرين والعلماء على أن أصل الفتنة في الاصطلاح هو الابتلاء والاختبار لكنهم اختلفوا في التعريف الاصطلاحي للفتنة وذلك على النحو التالي:

1- يعرف الإمام الفخر الرازي الفتنة في الاصطلاح بقوله: ((الفتنة تشديد المحنة، يقال فتن فلان عن دينه إذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه))⁽²⁾.

2- ويعرفها الزمخشري بقوله: ((الفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشهوات والملاذ، وبالفقر والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم))⁽³⁾.

3- ويعرفها الأستاذ سيد قطب بقوله: ((هي مجموعة من الابتلاءات والمشاق في التكليف بقصد إعداد المسلم إعداداً حقيقياً لتحمل الأمانة، ولا يتم ذلك إلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، والصبر الحقيقي على الآلام، والثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء))⁽⁴⁾.

4- ويعرف الراغب الأصفهاني الفتنة بقوله: ((والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد، كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب، وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك))⁽⁵⁾.

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي: تأليف أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ج2 ص115، ومختار الصحاح: للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ص490، والمعجم الوسيط: د. إبراهيم أنيس، د. عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد - ج2 ص673.

(2) التفسير الكبير - م11 - ج22 ص56.

(3) الكشاف - ج3 ص425.

(4) في ظلال القرآن - ج5 ص2721.

(5) المفردات في غريب القرآن - ص372.

ونود في هذا المبحث أيضاً أن نبين الفرق بين الفتنة والابتلاء عند اللغويين والمفسرين ، وذلك لكثرة ورود هذين المصطلحين في القرآن الكريم ، وقد تكلم الراغب الأصفهاني في ذلك فقال : " وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً ، وقد قال فيهما ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (1) .
وقال في الشدة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ (2)

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (3) (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) - ، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنذِرْ لِي وَلَا تَنْتَبِئْ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (4) ، أي يقول لا تبلي ولا تعذبني وهم بقولهم ذلك وقعوا في البلية والعذاب " (5) .

وقال ابن القيم رحمه الله : " وأما الفتون فهو مصدر فتنه يفتنه فتونا قال الله تعالى : ﴿وَفِتْنَكُ قُتُونًا﴾ (6) أي امتحناك واختبرناك والفتنة تقال على ثلاثة معان : أحدها : الامتحان والاختبار ومنه قوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ (7) أي امتحانك واختبارك ، والثاني : الافتتان نفسه يقال هذه فتنة فلان أي افتتانه ومنه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (8) يقال أصابته الفتنة وفتنته الدنيا وفتنته المرأة وأفتنته قال الأعشى : لئن فتنتني ولهي بالأمس أفتنت سعيداً فأضحى قد قلى كل مسلم وأنكر الأصمعي أفتنته والثالث المفتون به نفسه يسمى فتنة قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (9) وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (10) أي لم تكن عاقبة شركهم إلا أن تبرأوا منه وأنكروه وأما قوله تعالى ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى

(1) سورة الأنبياء الآية رقم 35.

(2) سورة البقرة الآية رقم 102.

(3) سورة البقرة الآية رقم 191.

(4) سورة التوبة الآية رقم 49.

(5) المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني . ج 1 ص 372.

(6) سورة طه الآية رقم 40.

(7) سورة الأعراف الآية رقم 155.

(8) سورة الأنفال الآية رقم 25.

(9) سورة التغابن الآية رقم 15.

(10) سورة الأنعام الآية رقم 23.

النَّامِرِ يُفْتَنُونَ، ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴿١﴾ فقيل المعنى يحرقون ومنه فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته ودينار مفتون .

المطلب الثالث : معاني الفتنة في القرآن الكريم

وفي مواضع من القرآن الكريم أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالالتزام بالحزم في التعامل مع مصادر الفتنة ، فقال تعالى ﴿ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاذْهَبُوا وَتَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مَبِينًا ﴾ (2) ، قال الشوكاني: " حجة واضحة تتسلطون بها عليهم وتقهروهم بها بسبب ما في قلوبهم من المرض وما في صدورهم من الدغل وارتكاسهم في الفتنة بأيسر عمل وأقل سعي (3) ، وبهذا يتبين أن منهج القرآن الكريم في تحذير المسلم من الفتنة لا يقوم على أمره بالابتعاد منها وأخذ الحذر فحسب ؛ بل يأمره بقهرها وحسم مصادرها وعدم التعاون مع أصحابها .

وفي مواضع كثيرة يبين القرآن الكريم للمسلم أن ابتغاء الفتنة والتعرض لها يعد من الأخلاق الذميمة ، وهو ليس من صفات العلماء الربانيين ، والأئمة المهديين ، ومن أجل ذلك يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (4) ، فهذه الآية تقسم الناس إلى مصدر خير ومصدر فتنة ، قال السعدي رحمه الله تعالى (: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) أي ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم ، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد(فَيَتَّبِعُونَ مَا

(1) سورة الذاريات الآية رقم 13-14 .

(2) سورة النساء الآية رقم 91 .

(3) فتح القدير . الشوكاني . ج 1 ص 496 .

(4) سورة آل عمران الآية رقم 7 .

تَشَابَهَ مِنْهُ) أي : يتكون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه ، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه (ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) لمن يدعوهم لقولهم ، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه ، وإلا فالحكم الصريح ليس محلاً للفتنة ، لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه " (1).

ويحذر القرآن الكريم من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويثبت أنه من موجبات الفتنة التي تملك صاحبها ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَكَا تَقْتَنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (2) ، قال السعدي: " فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده ، فإن في التخلف

مفسدة كبرى، وفتنة عظمى ، محققة، وهي: معصية الله ومعصية رسوله، والتجري على الإثم الكبير، والوزر العظيم . وأما الخروج، فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة. مع أن هذا القائل قصده التخلف، والقرآن الكريم يبين أن المسلم يجب عليه أن يجاهد نفسه ويقاوم فتنة الأعداء، ويثبت أمام كل من يريد صده عن الدين ، وحمله على الكفر ، واجتيااله عن دينه ، سواء كان مصدر هذه الفتنة شياطين الإنس أو شياطين الجن ، فقال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (3) ، وهذه الآية تدل على أن الله مع

المؤمن الذي فتن وثبت على دينه ، وكذلك تدل على أن معيته تشمل من فتن المؤمنين ثم تاب، قال الزمخشري: " (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ) دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك، وهم عمار وأصحابه . ومعنى : إن ربك لهم ، أنه لهم لا عليهم ، بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم ، كما يكون الملك للرجل لا عليه، فيكون محمياً منفعياً غير مضرور (مِنْ بَعْدِ مَا قُتِنُوا) بالعذاب والإكراه على الكفر. وقرئ: (فتنوا) على البناء للفاعل، أي: بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه " (4).

وقد بين القرآن الكريم أن حب الفتنة والتعلق بها من صفات المنافقين الذين يبتغون الكفر ويظهرون الإيمان ، وهذا أسلوب بليغ في تنفير المسلم من الفتن ووجوب النأي عن أسبابها ، قال الله تعالى: ﴿ وَكَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنْوُهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا سِيْرًا ﴾ (5) ، قال الغرناطي: " (ولو دخلت عليهم من أقطارها) أي لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها (ثم سئلوا

(1) تيسير الكريم الرحمن . السعدي . ج 1 ص 122.

(2) سورة التوبة الآية رقم 49.

(3) سورة النحل الآية رقم 110.

(4) الكشاف . الزمخشري . ج 2 ص 595.

(5) سورة الأحزاب الآية رقم 14.

الفتنة) يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين " (1)، وبهذا يتبين أن قلوب المنافقين هي التي أشرب فيها حب الفتنة ، والشغف بها .

وقد استنبط بعض المفسرين من الآية السابقة أنه مهما ادهمت الخطوب وتألب أهل الفتن على المسلمين فإنه يجب عليهم أن يزدادوا ثقة في وعد الله ونصره المحتم ، ومعطيات التاريخ تؤكد ذلك ، وقد أكد القرآن الكريم أن من الحكم المترتبة على الفتنة تمحيص المؤمنين، وتمييز الصادق من الكاذب، وتبيين المؤمن من المنافق، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (2) ، قال الطبري: " إن معناه أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان؟ بأن قالوا آمنا بك يا محمد فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب " (3).

وكذلك قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (4) ، وهذه الآية تبين أن الفتنة سنة كونية تلازم البشر في كل سني حياتهم ، قال القرطبي : " أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان ، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر ، فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الصابر فتنة للغني ، ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه فالغني ممتحن بالفقير عليه أن يواسيه ولا يسخر منه ، والفقير ممتحن بالغني عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه وأن يصبر كل واحد منهما على الحق " (5).

وعموم هذه الفتنة وشمولها للخير والشر يبينه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (6) ، فالله تبارك وتعالى بين في هذه الآية . كما قال الشيخ السعدي . أنه : " أوجد عباده في الدنيا ، وأمرهم ، ونهاهم ، وابتلاهم بالخير والشر ، وبالغنى والفقير ، والعز والذل

(1) التسهيل لعلوم التنزيل . الغرناطي . ج 3 ص 134 .

(2) سورة العنكبوت الآية رقم 2-3 .

(3) جامع البيان . الطبري . ج 20 ص 128 .

(4) سورة الفرقان الآية رقم 20 .

(5) تيسير الكريم الرحمن . السعدي . ج 1 ص 523 .

(6) سورة الأنبياء الآية رقم 35 .

، والحياة والموت ، فتنة منه تعالى) ليلوهم أيهم أحسن عملا ومن يفتتن عند مواقع الفتن ومن
ينجو . وإلينا ترجعون (فنجازيكم بأعمالكم، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر " (1).

والقرآن الكريم في سياق تبصيره للمسلم بحقيقة الفتنة يبين له أن موجباتها قد تتمثل في المال والبنين
اللذين اعتبرهما الله تبارك وتعالى زينة الحياة الدنيا، وفطر الناس على حبهما ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (2)، قال البغوي : " (إنما أموالكم وأولادكم
فتنة) بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام
(والله عنده أجر عظيم) قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض

فقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لأن كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من في قوله (إنما
أموالكم وأولادكم فتنة) لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب" (3)، وبهذا يتبين أن منهج القرآن
الكريم في الحديث عن مفهوم الفتنة وبيان كيفية التعامل معها يتميز بالشمول والعموم .
قال صلى الله عليه وسلم: (اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة
ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب) (4)

والقرآن الكريم يبين أن الإنسان يعذب بسبب اتباع الفتنة وتكذيب الحق الذي جاءت به الرسل
عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم
وترصتم وامرئتم وغرركم الأمانى حتى جاء أمر الله وعرركم بالله الغرور ﴾ (5)، قال في
أضواء البيان: " أي أضللتموها بالنفاق الذي هو كفر باطن ، ومن هذا المعنى قوله
تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي لا يبقى شرك" (6)، وقال تعالى (قَاتِلِ الْفِرَاقُونَ ، الَّذِينَ هُمْ
فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ، يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ، يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ، ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) (7)، قال الشيخ السعدي : " (يوم هم على النار يفتنون) ، أي : يعذبون
بسبب ما انطوا عليه من خبث الباطن والظاهر، ويقال لهم: (ذوقوا فتنكم) ، أي : العذاب
والنار ، الذي هو أثر ما افتتنوا به ، من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر والضلال .

(1) معالم التنزيل . البغوي . ج 4 ص 354.

(2) سورة التغابن الآية رقم 15.

(3) معالم التنزيل . البغوي . ج 4 ص 354.

(2) لراوي: محمد بن لبيد الأنصاري المحدث: الألباني: إسناده جيد رجاله ثقات صحيح الالباني رقم: 813

(5) سورة الحديد الآية رقم 14.

(6) أضواء البيان . الشنقيطي . ج 7 ص 554.

(7) سورة الذاريات الآية رقم 10-14.

(هذا) العذاب ، الذي وصلت إليه ، هو (الذي كنتم به تستعجلون) . فالآن تمتعوا بأنواع

العقاب والنكال، والسلاسل والأغلال ، والسخط والوبال " (1)، ففي هذه الآيات بين الله تبارك وتعالى أن العذاب والنكال الذي ينتظر الكافر يوم القيامة إنما هو أثر ما فتنوا به .

وقد بين القرآن الكريم أن الفتنة عامة شاملة، فهي كانت ومازالت وستظل قائمة إلى أن تقوم الساعة ، وشملت الأنبياء وأتباعهم، فأما فتنة الأنبياء عليهم السلام فقد قال الله تعالى عن سليمان عليه السلام ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ (2)، قال السعدي: (ولقد فتننا سليمان) أي: ابتليناه واختبرناه، بذهاب ملكه وانفصاله عنه، بسبب خلل اقتضته الطبيعة

البشرية (وألقينا على كرسية جسدا) أي: شيطانا قضى الله وقدر أن يجلس على كرسى ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان (ثم أناب) سليمان إلى الله تعالى وتاب (3)، وقال تعالى عن داود عليه السلام ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيحِكَ إِلَى تِجَارِهِ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (4)، قال السعدي : " (وظن داود) حين حكم بينهما (أما فتناه) أي : اختبرناه ودبرنا عليه هذه القضية ليتنبه . (فاستغفر ربه) لما صدر منه (وخر راکعاً) أي : ساجداً (وأناب) لله تعالى بالتوبة النصوح والعبادة" (5).

وقد ابتلى الله عز وجل أولي العزم من الرسل ، فقال عن موسى عليه السلام: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَكَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلٰى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (6)، قال القرطبي: " أي اختبرناك اختبارا حتى صلحت للرسالة " (7)، وقال عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (8)، قال الطبري: " وكان

(1) تيسير الكريم الرحمن . السعدي . ج 1 ص 808.

(2) سورة ص الآية رقم 34.

(3) تيسير الكريم الرحمن . السعدي . ج 1 ص 713 .

(4) سورة ص الآية رقم 24.

(5) تيسير الكريم الرحمن . السعدي . ج 1 ص 712 .

(6) سورة طه الآية رقم 40.

(7) الجامع لأحكام القرآن . القرطبي . ج 11 ص 198.

(8) سورة البقرة الآية رقم 124.

اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم اختبارا بفرائض فرضها عليه وأمر أمره به وذلك هو الكلمات التي أوحاهن إليه وكلفه العمل بمن امتحانا منه له واختبارا" (1).

وبين القرآن الكريم أن من الأنبياء عليهم السلام من يحاول الكفار فتنته عن دينه ولكن الله عز وجل يثبتته على الحق ، ويرد كيدهم في نحرهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ، وَلَوْ أَنَّ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (2) ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيتته وعصمته وسلامته من شر

الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفروه ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين" (3).

وجاءت الفتنه في كلام الله عز وجل بمعنى (القتل) :

فالله عز وجل أباح لنا القصر في أول الأمر خيفة من أن يقتل الكفار المسلمين ، قال عز وجل ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (4) .

وقال سبحانه ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ (5) أي يقتلهم

وجاءت الفتنه في كلام الله عز وجل بمعنى (الشرك والكفر)

قال تعالى ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (6) وقال عز وجل ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (7)

وجاءت الفتنه في كلام الله عز وجل بمعنى (الضلال)

(1) جامع البيان . الطبري . ج 1 ص 524.

(2) سورة الإسراء الآية رقم 73-75.

(3) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير . ج 3 ص 54.

(4) سورة النساء الآية رقم 101

(5) سورة يونس الآية رقم 83

(6) سورة البقرة الآية رقم 191

(7) سورة البقرة الآية رقم 217

وقال تعالى ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ 161 ﴿ مَا أْتَمُّ عَلَيْهِ بِنَاتَيْنِ ﴾ 162 ﴿ يَعْنِي صَالِحِينَ أَهْلَ الْحَقِّ ﴾ إِلَّا

مَنْ هُوَ صَالِحٌ الْجَحِيمِ ﴿ 163 ﴾ (1) إِلَّا مِنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَا

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الإثم)

فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر الناس أن يذهبوا إلى غزوة تبوك ، قال بعض المنافقين اعذرني يا رسول الله فإني أخشى على نفسي من بنات بني الأصفر ، يعني من بنات الروم أن يفتنني ، فقال عز وجل ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَنْتَهِي إِلَيَّ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ (2) يعني في الإثم سقطوا .

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (العبرة والاتعاظ)

قال أصحاب موسى ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (3) يعني عبرة للقوم الظالمين .

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الصد عن سبيل الله)

قال تعالى ﴿ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ ﴾ (4) ، يعني يصدوك عن سبيل الله .

وقال تعالى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (5) ، أي يصدونك عن هذا القرآن العظيم

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (العقوبة)

قال تعالى ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ﴾ (6) .

وقال تعالى ﴿ وَكَذَّبْنَا سُلَيْمَانَ وَآلَيْنَا ﴾ العقوبة ﴿ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (7) .

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (القضاء)

فلما موسى عليه السلام لما عبد قومه العجل اختار سبعين منهم ، فلما أتوا ليعتذروا أمام الله عز وجل لقومهم أخذتهم الرجفة ، فماذا قال موسى ؟ { إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ } يعني قضاؤك ﴿ تُضِلُّ بِهَا

مَنْ تَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ (8) .

(1) سورة البقرة الآية رقم 193

(2) سورة التوبة الآية رقم 49

(3) سورة يونس الآية رقم 85

(4) سورة المائدة الآية رقم 49

(5) سورة الاسراء الآية رقم 73

(6) سورة ص الآية رقم 24

(7) سورة ص الآية رقم 34

(8) سورة الاعراف الآية رقم 155

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (المعذرة)

فإن أهل الكفر يوم القيامة يعتذرون أمام الله عز وجل بأنهم ما كفروا ولا أشركوا به ، قال تعالى { ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنَتُهُمْ } يعني معذرتهم ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (1) .

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الشر) الذي هو ضد الشر

قال عز وجل عن أصحاب الإيمان الضعيف ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (2)

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الابتلاء بالحرب)

فإن المؤمنين إذا لم يوالوا المؤمنين وإنما والوا الكفار ، سلط الله عز وجل عليهم ابتلاء بالحرب ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَتَعَلَّوْهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَمْرِضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (3) .

قال صلى الله عليه وسلم

الحديث: (أمي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل) . (4) (صحيح) . وعن أبي بردة قال بينما أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجبا فقال رجل من الأنصار _ قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم _ مما تعجب يا أبا بردة قلت أعجب من قوم دينهم واحد ونيبهم واحد ودعوتهم واحدة وحجهم واحد وغزوهم واحد يستحل بعضهم قتل بعض قال فلا تعجب فإني سمعت والذي أخبرني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره (وهو صحيح الإسناد) (5) . (تنبيه) واعلم أن المقصود بـ (الأمة) هنا غالبها للقطع بأنه لا بد من دخول بعضهم النار للتطهير الصحيحة

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (المرض)

كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المنافقين ﴿ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (6) ، أولا يرون أنهم يصيبهم المرض .

(1) سورة الانعام الآية رقم 23

(2) سورة الحج الآية رقم 11

(3) سورة الانفال الآية رقم 73

(4) الراوي: أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس المحدث: الألباني صحيح الالباني 959

(5) الراوي: أبو موسى المحدث: الحاكم ، المستدرك ص 361

(6) سورة التوبة الآية رقم 126

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الاستهواء والغلبة)

قال عز وجل ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ (1)، يعني لا يلهينكم الشيطان ولا يغلبنكم على أنفسكم كما فعل بأبيكم آدم .

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الجنون)

فإن كفار قريش زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم مجنون ، قال عز وجل ﴿ فَسَبِّصْهُ وَيَنْصُرْهُ * بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴾ (2) أي من هو المجنون .

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (العذاب)

قال عز وجل عن أهل الكفر إذا ذاقوا عذاب الله ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (3) أي يعذبون ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (4) يعني عذابكم .

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (العذاب في الدنيا)

قال عز وجل عن المنافقين ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ﴾ أي عذاب الدنيا ﴿ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ (5)

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الحرق بالنار)

لما تسلط ذلك الملك الظالم على قومه الذين أسلموا ، ماذا صنع بهم - وهم أهل الأخدود - ؟ أحرقهم بالنار ، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ (6)

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (التسليط)

ولذلك قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني لا تسلط علينا الذين كفروا ﴿ وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (7)

(1) سورة الاعراف الآية رقم 27

(2) سورة القلم الآية رقم 5,6

(3) سورة الذاريات الآية رقم 13

(4) سورة الذاريات الآية رقم 14

(5) سورة العنكبوت الآية رقم 10

(6) سورة البروج الآية رقم 10

(7) سورة الممتحنة الآية رقم 5

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (الفضيحة)

كما في أحد وجوه التفسير في قوله تعالى { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ } يعني فضيحته { فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً } (1).

وجاءت الفتنة في كلام الله عز وجل بمعنى (النفي عن البلد)

كما يحتمله قوله تعالى كما قال بعض العلماء ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (2)، يعني أن أخراج الإنسان من بلده أعظم عنده من أن يُقتل.

المبحث الثاني : أهم المحاور في قصة أصحاب الكهف ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أثر الشباب في نصرة الحق (إنهم فتية آمنوا بربهم)

المطلب الثاني : من ثمار الإيمان الثبات (وربطنا على قلوبهم)

المطلب الثالث : الهجرة عند حدوث الفتن (وإذا اعتزلتموهم)

المطلب الرابع : الأخذ بالأسباب : اللجوء إلى الكهف ، اتخاذ الكلب حارسا ،

اصطحاب المال ، الأمر بأخذ الحيلة والحذر (وليتلفظ ...)

المطلب الخامس : إحياء الموتى (وكذلك أعثرنا عليهم)

المطلب الأول: أثر الشباب في نصرة الحق (إنهم فتية آمنوا بربهم)

﴿نَحْنُ نُقْصُ عَلَيْكَ بَأْهُمْ بِالْحَقِّ ۖ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَا هُمْ هُدًى﴾ (1)

من هنا شرع في بسط القصة وشرحها، فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شباباً. وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً. وقال مجاهد: بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة، يعني الحلق، فألهمهم الله رشدهم، وآتاهم تقواهم فأمنوا بربهم، أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو، { وزدناهم هدى } استدل بهذه الآية وأمثالها على زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص، ولهذا قال تعالى: { وزدناهم هدى } ، كما قال: { والذين اهتدوا زادهم هدى تقواهم } ، وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى ابن مريم، والله أعلم. وقوله تعالى: { وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض } يقول تعالى: وصبرناهم على مخالفة قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم

خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، وكان لها ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض؛ فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز عنهم، واتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه فسأهم عن أمرهم وما هم عليه، فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل، ولهذا أخبر تعالى (1)

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَاهُمْ هُدًى } يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَحْنُ يَا مُحَمَّدُ نَقُصُّ عَلَيْكَ خَبَرَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ أَوْوَأْ إِلَى الْكَهْفِ بِالْحَقِّ ، يَعْنِي : بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ } يَقُولُ : إِنَّ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ أَوْوَأْ إِلَى الْكَهْفِ الَّذِينَ سَأَلْنَا عَنْ نَبِيِّهِمُ الْمَلَأَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ ، فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، { وَرِذْنَاهُمْ هُدًى } يَقُولُ : وَرِذْنَاهُمْ إِلَى إِيْمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ إِيْمَانًا ، وَبَصِيرَةَ بَدِينِهِمْ ، حَتَّى صَبَرُوا عَلَى هِجْرَانِ دَارِ قَوْمِهِمْ ، وَاهْتَرَبَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ بِدِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ ، وَفِرَاقَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَلِينِهِ ، إِلَى خُشُونَةِ الْمُكْتِ فِي كَهْفِ الْجَبَلِ . الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَاهُمْ هُدًى } يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَحْنُ يَا مُحَمَّدُ نَقُصُّ عَلَيْكَ خَبَرَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ أَوْوَأْ إِلَى الْكَهْفِ بِالْحَقِّ ، يَعْنِي : بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ } يَقُولُ : إِنَّ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ أَوْوَأْ إِلَى الْكَهْفِ الَّذِينَ سَأَلْنَا عَنْ نَبِيِّهِمُ الْمَلَأَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ ، فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، { وَرِذْنَاهُمْ هُدًى } يَقُولُ : وَرِذْنَاهُمْ إِلَى إِيْمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ إِيْمَانًا ، وَبَصِيرَةَ بَدِينِهِمْ ، حَتَّى صَبَرُوا عَلَى هِجْرَانِ دَارِ قَوْمِهِمْ ، وَاهْتَرَبَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ بِدِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ ، وَفِرَاقَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَلِينِهِ ، إِلَى خُشُونَةِ الْمُكْتِ فِي كَهْفِ الْجَبَلِ . (2)

أي يسرناهم للعمل الصالح؛ من الانقطاع إلى الله تعالى، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا. وهذه زيادة على الإيمان. وقال السدي : زادهم هدى بقلب الراعي حين طردوه ورجموه مخافة أن ينجح عليهم وينبه بهم؛ فرفع الكلب يديه إلى السماء كالداعي فأنطقه الله، فقال : يا قوم لم تطردوني، لم ترحموني لم تضربوني فو الله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة؛ فزادهم الله بذلك هدى. (1)

هذا هو تفصيل القصة بعد أن حُصِّص القرآن في المذكرة والبرقية السابقة، وكأن الحق سبحانه يقول لرسوله: لقد ذكر ناسٌ هذه القصة من قبل، لكنها قُصِّتْ بغير الحق، وغيِّرَ فيها، لكن قَصْنَا لها هو القَصِّص الحق الذي لا كذب فيه.

فحقيقة هؤلاء أنهم فتيية آمنوا بالله، وهذه قضيتهم التي ضَحَّوْا من أجلها، فلما آمنوا بالله تولَّاهم وتَوَّرَ بصائرهم وربط على قلوبهم، وزادهم إيماناً، (2) كما قال في آية أخرى:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (3)

وما أشبه هذه المسألة بالمعلِّم الذي يلمح أمارات النجاة والذكاء على أحد تلاميذه، ويراها مُجيباً حريصاً على العلم فيؤليه اهتمامه ويمنحه المزيد من المعلومات.

ونلاحظ هنا أن هؤلاء المؤمنين الذين ضَحَّوْا بكلِّ شيء وفرَّوْا بدينهم ما زالوا في مرحلة الشباب، وهو مظنة الانشغال بالدنيا والحِرْص على مُتعتها، أما هؤلاء فقد انشغلوا بدينهم منذ صِغَرهم ليكونوا قُدوة ومثلاً للشباب المؤمن في كل زمان ومكان، فالفتاء في أهل الكهف: فتاء إيمان و فتاء عقيدة. (4)

وفي هذه الآية الكريمة عرفنا انه في الشباب الحق والنصرة والهداية ويفهم من هذه الآية الكريمة أن من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى ؛ لأن الطاعة سبب للمزيد من الهدى والإيمان .

وهذا المفهوم من هذه الآية الكريمة جاء مبينا في مواضع آخر ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (5) ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سَبِيلَنَا ﴾ (6) ، وقوله

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص365

(1) تفسير خواطر الشعراوي 8852

(2) سورة محمد الآية رقم 17

(3) تفسير خواطر الشعراوي 8852

(4) سورة محمد الآية رقم 17

(5) سورة العنكبوت الآية رقم 69

تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾⁽¹⁾ ، وقوله ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾⁽²⁾ ، وقوله تعالى : ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾⁽³⁾ ، إلى غير ذلك من الآيات .

وهذه الآيات المذكورة نصوص صريحة في أن الإيمان يزيد ، مفهوم منها أنه ينقص أيضا ، كما استدل بها البخاري رحمه الله على ذلك ، وهي تدل عليه دلالة صريحة لا شك فيها ، فلا وجه معها للاختلاف في زيادة الإيمان ونقصه كما ترى ، والعلم عند الله تعالى .

الشباب لأنهم ثروة الأمة وأملها بعد الله في تحقيق أهدافها ... وهم أكثر قواها البشرية عطاءً وخصوبةً ونفعاً ... والشباب هو سن العلم والعمل والجهاد والإنتاج ... لو استطلعنا تاريخ الأمة لوجدنا أن إنتاج المسلمين في مختلف مجالات العلم وفنونه كان ثمرة للعمل الجاد في وقت اليقظة والشباب .

لأن الشباب لا يتردد في بذل أنفس ما يملك للدفاع عما يعتقد سواء كان خيراً أم شراً .
عندما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الحق ، وتنهّد رؤساء مكة يجاربون دعوته ويصدون عن سبيل الله ، كان الشباب في طليعة المستميتين في هذا الصراع في كلا الطرفين : طرف الحق وطرف الباطل . فكان شباب الكفار يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصبون على أصحابه أنواعاً من العذاب والتنكيل بتحريض من كبارهم . ومقابل ذلك أكثر الذين تولوا نصرة الحق والذود عن حياضه هم من الشباب الذين آمنوا بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فتناهوا في الاستماتة والتضحية في سبيلها . سجلوا التضحيات الجسام والبطولات الرائعة التي أدت إلى أن يرفرف علم الإسلام فوق المعمورة⁽⁴⁾

(6) سورة الانفال الآية رقم 29

(7) سورة التوبة الآية رقم 124

(8) سورة الفتح الآية رقم 4

(1) سعد البريك

المطلب الثاني: من ثمار الإيمان الثبات (وربطنا على قلوبهم):

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المرعبة،

وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأنينة. (1)
فطبيعي أن هذا ليس موقف أناس عاديين ولكن الله كرمهم بالإيمان والثبات على الهدى فصارحوا
جبايرة قومهم: بأنهم لا يدعون مع الله أحداً وهو إعلان بالكفر بأهة قومهم مع الثبات على الإيمان
بالله وحده وهذه كرامة وأي كرامة. (2)

كل سائر إلى الله يحتاج إلى الثبات، ومن الثبات أن يربط الله جل وعلا على القلب، خاصة عند
حلول النوازل والمصائب والكوارث، أو عند ورود الشبه أو عند شيوع الفتن، فإن المؤمن يحتاج إلى
أن يربط الله جل وعلا على قلبه، ولهذا كثر في دعائه صلى الله عليه وسلم أن يقول: (يا مقلب
القلوب! ثبت قلبي على دينك) 3 وقد يمر في أحوال الناس مما يقرأ الإنسان أو يسمع أو يشاهد
كثيراً من الناس يبدو متحمساً للدين ثم لا يلبث -عباداً بالله- أن ينتكس، ولا حاجة لضرب
الأمثلة، لكن الحاجة ملحة إلى أن نسأل الله جل وعلا الثبات على دينه، وأن يربط تبارك وتعالى
على قلوبنا، أينما حللنا وحيثما نزلنا. قال الله ممتناً على تلك الفئة المباركة: (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) (4)

(1) تفسير السعدي ص 294

(2) صيد الفوائد موقع الإلكتروني www.saaaid.net

(3) الراوي: أم سلمة هند بنت أبي أمية المحدث: الترمذي، سنن الترمذي ص 3552

(4) سلسلة محاسن التأويل تفسير سورة الكهف 1-16 - للشيخ صالح بن عواد المغامسي (التفريع النصي للمحاضرة)

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ : وَأَهْمَنَاهُمْ الصَّبْرَ ، وَشَدَدْنَا قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ حَتَّى عَزَفَتْ أَنْفُسُهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ ، كَمَا : حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ { وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ : وَأَهْمَنَاهُمْ الصَّبْرَ ، وَشَدَدْنَا قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ حَتَّى عَزَفَتْ أَنْفُسُهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ ، كَمَا : حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ { وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } يَقُولُ : بِالْإِيمَانِ . (1)

عبارة عن شدة عزم وقوة صبر، أعطاه الله لهم حتى قالوا بين يدي الكفار. (2)

والربط يعني أن تربط على الشيء وتشدّ عليه لتحفظ ما فيه، كما تربط القربة حتى لا يسيل الماء، وتربط الدابة حتى لا تنفلت، وقد وردت مادة (ربط) في القرآن كثيراً، منها قوله تعالى في قصة أم موسى:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا . . . ﴾ (3)

أي: ربط على ما في قلبها من الإيمان بالله الذي أوحى إليها أن تُلقي بولدها في الماء، ولولا أن ربط الله على قلبها وثبتها لانطلقت خلف ولدها تصرخ وتنتحب وتلفت إليه الأنظار:

﴿ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا . . . ﴾ (4)

ولا يُسمّى القلب فؤاداً إلا إذا توقّد بالمشاعر وتحرك بها، وربط الله على قلب أم موسى أحدث لها ضبطاً للشعور يحكم تصرفاتها فتأتي سليمة متمشية مع الخطة المرادة.

ومن هنا نأمر الغاضب الذي تغلي الدماء في عروقه بالهدوء وضبط النفس؛ لأن الهدوء سيعينه على الحق، ويُلجم جماع غضبه الذي لا تُحمد عقباه، ألا ترى التوجيه النبوي في حال الغضب؟ إنه ينصح بتغيير الوضع الذي أنت عليه؛ لأن هذه العملية تحدث لديك نزوعية، تصرف عنك الغضب. (5)

وهنا يقول الحق سبحانه في أهل الكهف: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ . . . ﴾ لتظل بداخلها العقيدة والإيمان بالله لا تتزعزع ولا تُخرجها الأحداث والشدائد، وهذا من زيادة الهدى الذي أخبرت به الآية السابقة. (1)

(5) تفسير الطبري ، ص 294

(6) الجامع لأحكام القرآن . القرطبي . ج 11 ص 200.

(1) سورة القصص الآية رقم 10

(2) سورة القصص الآية رقم 10

(3) تفسير خواطر الشعراوي 8854

والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان ، وعدم التردد فيه ، فلما شاع إطلاق القلب على الاعتقاد استعير الربط عليه للتثبيت على عقده ، كما قال تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين)⁽²⁾ ، ومنه قولهم : هو رابط الجأش ، وفي ضده يقال : اضطرب قلبه ، وقال تعالى (وبلغت القلوب الحناجر)⁽³⁾ ، استعير الاضطراب ، ونحوه للتردد والشك في حصول شيء .
وتعدية فعل " ربطنا " بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد ؛ لأن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل .⁽⁴⁾

وبهذا عرفنا ان القوة العظمى التي متى ما اراد الله للإنسان ان تصبح له هي الثبات على ادين وهذه القوة العظمى بفضل الله تعال من وسائل الثبات سؤال الله الرحمة والرشاد (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا).

ينبغي على الداعية خاصة الذي يترصب به الشانؤون ، أن يلهج بسؤال الله الهداية إلى الرشاد في أمره كله، عسى الله أن يستجيب له فيصلح من أمره .⁽⁵⁾

من علم أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فحري به أن يلهج بدعاء التثبيت ..

ليُعلم أن الله تعالى لن يخذل عبداً كان ديدنه الدعاء والالتجاء إلى مولاه ، مع سلامة المنهج وصحة القصد.

من لجأ إلى الله حق الالتجاء كان له ناصرًا ومعينًا، وأحال عسر أمره يسراً، وجعل له من بعد الضيق فرجاً ومخرجاً.⁽⁶⁾

وجاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حذر الناس، وقال: (هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِيَّيْ لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ)⁷ وجاء في بعض الأحاديث أنها: (تعرض عليكم كأعواد الحصير عوداً عوداً)⁸. وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً . أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً . يبيع دينه بعرض من الدنيا)⁹ ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إنها ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم،

(4) مرجع سابق ص 8856

(5) سورة القصص الآية رقم 10

(6) سورة الاحزاب الآية رقم 10

(1)التحريير والتنوير لتحريير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر ، ص 272

(2) ١٠٠ فائدة من كتاب تدبر سورة الكهف للشيخ د ناصر العمر موقع الالكتروني www.saaaid.net

(3) مرجع سابق

(7) الراوي:أسامة بن زيد المحدث: البخاري ،صحيح البخاري ص1878

(8) الراوي: حذيفة بن اليمان المحدث: الألباني صحيح الجامع ص 2960

(9) الراوي:أبو هريرة ، صحيح مسلم ص 118

والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي)¹، وخطورة الفتن فقد كان عليه الصلاة والسلام -وهو أفضل هذه الأمة، وأخشاها لله وأقواها إيماناً- يكثر من سؤال الله الثبات على دينه، كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: كان رسول الله يكثر من قول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك). ومن يأمن الضياع، ومن يأمن ألا يسقط في الفتن ويخوض في غمارها بعد رسول الله - صلى عليه وسلم -

المطلب الثالث: الهجرة عند حدوث الفتن (وإذا اعتزلتموهم)

﴿وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾ : أي وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم.⁽²⁾

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا عَتِزْتُمْهُمْ وَإِلَّا اللَّهُ فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَتَشَرُّ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾
يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل بعض الفتية لبعض:

وإذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله آلهة (وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) يقول: وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله، ف " ما " إذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفاً لها على الهاء، والميم التي في قوله (وَإِذَا عَتِزْتُمْهُمْ) وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَإِذَا عَتِزْتُمْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) وهي في مصحف عبد الله: " وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " هذا تفسيرها.
إن الخروج من الفتن يتطلب أسباباً جادة يجب على المسلم أن يسلكها حتى ينجو بدينه، ومن هذه الأسباب:

(1) الراوي: أبو هريرة، صحيح مسلم ص 2886

(1) تفسير ابن كثير، ص 295

الهروب من الفتن وعدم الولوج فيها بأن لا يتعرض المسلم لها وخاصة عند خفاء الأمر: **يبتعد** المسلم عن أسبابها وعن الأسباب الموصلة إليها، وعدم الاغترار بالنفس، إن المؤمن الصادق المتواضع الذي يخاف على نفسه، ومن خاف نجاة، ومن أمن هلك.

فإذا رأيت فتنة مال أو نساء أو غيرها من الفتن فابتعد، وإياك ومواطن الفتن والريب، حتى لا يصيبك منها شيء، وقد علمنا سلفنا هذا المنهج فكانوا يخافون منها، فهذا ابن أبي مليكة يقول: " أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يخشى النفاق على نفسه" وهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - يقول: تكون فتنة لا ينجي منها إلا دعاء كدعاء الغرق، أي الذي بلغ منه الخوف والوجل كخوف الذي أوشك على الغرق. فهذه الفتن هي الفتن التي لا يظهر وجهها، ولا يعلم طريق الحق فيها، بل هي ملتبسة، فهذه يجتنبها المؤمن، وابتعد عنها بأي

ملجأ، ويؤيد هذا ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الفتن والقعود عنها حيث قال: (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من يستشرف لها تستشرفه، فمن استطاع أن يعود بملجأ أو معاذ فليفعل) ومن هذا الباب قوله - صلى الله عليه وسلم -: (يوشك أن يكون خير مال المرء المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن). (1) (2)

ولشدة عظمة الفتن فكان من الأولى الهروب منها أولى من المواجهة وخاصة إذا كانت الفتنة في الدين فإنها من اعظم الفتن واشدها ولأن الانسان ضعيف لا يستطيع مواجهة الفتن افضل له الاعتزال والابتعاد عن مواطن تلك الفتن .

* التمس أهل الكهف أمرين مهمين هما رحمة الله بهم وإرشاده لهم ، وفي طلبهم للرحمة مع الرشاد ما يدلُّ على أنهم ماضون في طريق الحق ثابتون عليه مهما كلفهم من تضحيات .

* وتتجلى أهمية هذا الدعاء للدعاة والمصلحين حين يواجهون الحن والابتلاءات والفتن والعقبات ، أو تشعب بهم الآراء ، أو يقفون على مفترق الطرق .

* وفي قصة أصحاب الكهف دليل على جواز الفرار بالدين والعزلة حين تشتد الفتن .

- قال الإمام ابن العربي : " فيه جواز الفرار من الظالم : وهي سنة الأنبياء والاولياء ، وحكمة الله في الخليقة . (3)

(1) الراوي: أبو سعيد الخدري ، صحيح البخاري ، ص 7088

(2) موقع الالكتروني <http://www.alimam.ws/ref/348>

(3) - أحكام القرآن لابن العربي 232/3

- وقال الإمام الجصاص : " فيه الدلالة على ان الانسان أن يهرب بدينه اذا حاف الفتنه فيه ، وان عليه ان لا يتعرض لظهار كلمة الكفر وان كان على وجه التقيه ، ويدل على انه اذا أراد الهرب بدينه خوف الفتنه ان يدعوا بالدعاء الذي حكاه الله عنهم ؛ لان الله قد رضي ذلك من فعلهم وأجاب دعائهم وحكاه لنا على جهة الاستحسان لما كان منهم (1) .

- وقال السعدي رحمه الله : " وفي هذه القصة دليل على أن من فرَّ بدينه من الفتن ، سلمه الله منها ، وأن من حرص على العافية عافاه الله ، ومن أوى إلى الله آواه الله ، وجعله هداية لغيره ، ومن تحمّل الذلّ في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العزّ العظيم من حيث لا يحتسب (2) .

- وفي المنار نقل الأستاذ رشيد رضا عن شيخه الإمام محمد عبده " ولا معنى عندي للخلاف في وجوب الهجرة من الأرض التي يمنع فيها المؤمن من العمل بدينه ، أو يؤذى فيها إيذاءً لا يقدر على احتماله " (3) .

وعقب الأستاذ رشيد رضا على ذلك بقوله " فكل مسلم يكون في مكان يفتن فيه عن دينه بأن يكون ممنوعاً من إقامته فيه كما يعتقد ، يجب عليه أن يهاجر منه إلى حيث يكون حراً في تصرفه وإقامة دينه " (4) .

وقال صاحب الكشاف عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۗ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۗ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۗ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ (5) وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب ، لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر ، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة . (6) .

(4) أحكام القرآن للجصاص 3 / 261

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص 473

(1) المنار " تفسير القرآن الحكيم " لرشيد رضا 5 / 357

(2) مرجع سابق 5 / 361

(3) سورة النساء الآية رقم 97

(4) الكشاف للزمخشري 1 / 451

وذكر ابن العربي في أحكام القرآن من الأسباب الداعية إلى هجر الأوطان : «الفرار من الإذابة في البدن ؛ وذلك فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ أرخصَ فيه ، فإذا حشِيَ المرءُ على نفسه في موضعٍ فقد أذن الله سبحانه له في الخروجِ عنه ، والفرارِ بنفسه ؛ ليخلصَها من ذلك المَحْدُورِ . » (1)

* أقول : لقد تذكرت والذكرى مؤرقة : المسلمين في الأندلس لما تمكن النصارى منهم فأجبروا من لم يتمكن من الفرار على ترك الإسلام ونسيان لغة القرآن ففرَّ من فر بدينه وبقي من بقي على دينه خفية لا يستطيع أن يجهر به وإلا فإن محاكم التفتيش مصيره ؛ حيث العذاب صنوف وألوان ، حتى أجبروا على دخول الكنائس ، وممارسة شعائر النصرانية وتسمية أولادهم بأسمائهم . (2)

المطلب الرابع : الأخذ بالأسباب : اللجوء إلى الكهف ، اتخاذ الكلب حارسا ، اصطحاب المال ، الأمر بأخذ الحبيطة والحذر (وليتلف ..)

(فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ) فالجأوا إليه (يَنْشُرْ لَكُمْ) يبسط لكم (رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ) يسهل لكم (مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا) أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر « مرفقا « بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء ومعناها واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان.

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِمَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (*) وَيَحْسَبُهُمْ آيِقًا ظًا وَهُمْ مَرْقُودٌ ﴾

(1) أحكام القرآن لابن العربي 2 / 454

(2) وفي هذه المحنة قال الأديب الشهير أبو البقاء صالح بن شريف الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يعرُّ بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
دهى (الجزيرة) أمرٌ لا عزاء له هوى له (أحد) وأنهد (ثهلان)
فاسأل (بلنسية) ما شان (مرسية) ؟ وأين (شاطبة) أم أين (جيان) ؟
وأين (قرطبة) دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان
تبكي الخنيفة البيضاء من أسف كما بكى لفرار الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحارِب تبكي وهي جامدة حتى المناير تبكي وهي عيدان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها من طوال الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرةٌ كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران

وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
وَكَلَّمْتَهُمْ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١﴾

قوله تعالى: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ) قرأ ابن عامر ويعقوب: « تزور » بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تحمر وقرأ أهل الكوفة: بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وكلها بمعنى واحد أي: تميل وتعدل (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) أي: جانب اليمين (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ) أي: تتركهم وتعدل عنهم (ذَاتَ الشِّمَالِ) أصل القرض القطع (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) أي: متسع من الكهف وجمعها فجوات قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك قال: اختار الله لهم

مضطجعا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرما وتغير ألوانهم وهم في متسع يناهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه.

وقال بعضهم هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم ألا ترى أنه قال:

(ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ) أي: من يضلله الله ولم يرشده (فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا) معينا (مُرْشِدًا) قوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا) أي: منتبهين جمع يَقِظٌ وَيَقُظٌ (وَهُمْ رُقُودٌ) نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتحي الأعين يتنفسون ولا يتكلمون.

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقبلون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم. وقال أبو هريرة: كان لهم في كل سنة تقلبان.

(وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب.

كما نفعت الكلب مصاحبة الفتية وليس منهم فكذلك أهل الخير وإن لم يعمل بعملهم مما ليس واجبا، فما أوسع رحمة الله وما أعظمها!.

(أزكى طعاما) الحرام لا يكون زكيا، وكثير من الناس لا يتحرى الحلال، وهذا من أسباب شقاء كثير من البيوت والمجتمعات.

مجيء (ليتلطف) في منتصف القرآن فيه لطيفة، فهي تتوسط القرآن والوسطية أحقة منهج رباني، وهي تقتضي كثيراً من التلطف.

البعد عن الفتن لا يعني أن يتخلى المؤمن عن دينه ، فهذه أعظم فتنة يهرب منها !⁽¹⁾ الفتية أرسلوا واحدا منهم فقط (فابعثوا أحدكم) وفيه درس مهم للدعاة وهو تكليف العدد المناسب للمهمة فالزيادة قد تفسد العمل.

إذا كان التلطف مع الأعداء مطلوباً لتحقيق منفعة دينية، فهو مطلوب مع المؤمنين من باب أولى، فعلى المرابي مراعاة ذلك.

الحياة لا تخلو من المشكلات، والوصول إلى حلول هذه المشكلات لا بد له من تلطف وهدوء وتأنٍ، وكلما كبرت المشكلة زادت الحاجة للهدوء والتروي .

من الأخطاء الشائعة أن يستثني الناس فيما مضى، فيقال: سافرت إن شاء الله، وهذا لا وجه له لغة ولا شرعا ولا عقلا، فهو مقيد بما يكون في المستقبل.

إذا وقعت الخوارق على يد رجل صالح تقي فهذه كرامة، وإن وقعت للسحرة والدجالين ومنحرفي العقيدة فهي فتنة وبلاء واستدرج .

في قصة أصحاب الكهف تسلية للدعاة الذين يحملون هم الدعوة أن يتحلوا بطول النفس ويتيقنوا أن العاقبة للمتقين وأن الله ناصر دينه.⁽²⁾

نال الفتية رعاية الله بـ : التوحيد/الرفقة الصالحة/الثبات/الهجرة والاعتزال/حسن الظن بالله/الدعاء/الشورى/اجتماع الكلمة/اتخاذ القرار العاقل.

الحق لا يُعرف بكثرة أو قلة، بل الكثرة أكثر ما تجيء في القرآن مذمومة، فالزم جماعة الحق ولو كانت قليلة مستضعفة.

الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن.

كثير من أهل البلاء يعيشون عيشة راضية لا ينالها كثير من أهل العافية، وسر ذلك أنهم أنسوا بالله فأزال عنهم وحشة الطريق .

يخطئ من يثق في قدرته على حفظ دينه وسط فتن تموج، وهو بمعزل عن أهل الصلاح، فالدُّبِّ يأكل من الغنم القاصية، ويد الله مع الجماعة.

المراء مهما بلغ من علو الشأن لا ينبغي أن يترفع عن أهل الخير، أو يعرض عنهم إن كانوا فقراء أو ضعفاء .

لطيفة .. قوله : (من أغفلنا قلبه) لم يقل لسانه، فقد تجد رجلا دائم الذكر ولا تجد أثر هذا في دينه وخلقه ومعاملاته، والسبب أن ذكره بلسانه لا بقلبه.

أعظم انتصار يتمثل في الثبات على الحق، فلا ينبغي أبدا لأصحاب الدعوات أن يقدموا تنازلات في الثواب، إما لضغوط أو لأجل أن يقبله الغرب والشرق.

الحق لا ينثني ولا ينحني، إنما يسير في طريقه قيماً لا عوج فيه، قوياً لا ضعف فيه، صريحاً لا مداورة فيه .

(ولم تظلم منه شيئاً) دلت على أن النقص ظلم، فنقص الرجل زوجه والأب أولاده، كل هذا ظلم، ولو أن أي نقص وقع عددناه ظلماً فأصلحناه لتغيرت حالنا.

من اللافت في القرآن كثرة ذكر النخيل والأعناب معاً، لأنهما أعظم ثمار الحجاز وأكلهما لا يحتاج عناية وإعداد، فذكرهم بنعمه عليهم.

العطاء اختبار وابتلاء (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وليس دليل إكرام وتفضيل كما قد يظن كثير من الجهال .

الأصل في الدعوة أن يبدأ الداعية باللين والنصح، ولا ينتقل إلى غيره ما وجد إليه سبيلاً .

(حساباً من السماء) أي عذاباً، وخص السماء لأن ما جاء من الأرض قد يُدافع، لكن ما نزل من السماء يصعب دفعه أو يتعذر.

الحوار منهج رباني بشرط أن تنضبط بالأصول الشرعية، وهو كذلك ضرورة بشرية لا يستغني عنها مجتمع مهما صغر.

الدعوى التي يرددها البعض أن الإسلام لا يقبل الحوار دعوى فارغة لا تثبت، فالإسلام مع الحوار البناء، لا مع تمييع المفاهيم وإضاعة الحقيقة .

لا أحد أكثر إحساناً وأشمل من الله، فنعمه واصله للخلق جميعاً، فلزاماً على المؤمنين أن يشكروا ربهم على ما أعطاهم .

الاستعلاء بالمال داء عضال عاقبته وخيمة، وصاحبه هذا المتعالي ما هو إلا جاهل مغرور، وبعد غدٍ ستتكشف له الأمور.

الماء لا يقدر أحد أن يدخله ثم لا يبطل فيه ، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنها وافتها ، لا متاع في الدنيا يحقق سعادة البشر؛ لأن السعادة الحقيقية هي الدائمة التي لا زوال فيها ولا شقاء، ولا يكون هذا إلا في ظل الإيمان والإسلام.

قيل: معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم.
قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وورقدها عليها وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسر وورقدها عليها.
(لَوْ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ) يا محمد (لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا) لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقفهم الله تعالى من رقدتهم (وَلَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) خوفا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها.

واختلفوا في أن الرعب كان لماذا قيل من وحشة المكان.

وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام.

وقيل: لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقبلهم من غير حس ولا إشعار.

وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد.

وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال ابن عباس رضي الله عنهم: لقد منع ذلك من هو خير منك، فقال: « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا » فبعث معاوية ناسا فقال: اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم (1).

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَنْزَكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَسَلْهُمْ وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (2)

قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ) أي: كما أماناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النوم التي تشبه الموت (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) ليسأل بعضهم بعضا واللام فيه لام العاقبة لأنهم لم يبعثوا للسؤال.

(قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ) وهو رئيسهم مكسلمينا (كَمْ لَبِثْتُمْ) في نومكم؟ وذلك أنهم استنكروا طول نومهم ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك.

(قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا) وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فقالوا فانتبهوا (حين انتبهوا) عشية فقالوا:

لبثنا يوما ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا: (أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم.

(قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) وقيل: إن رئيسهم مكلسمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم (فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ) يعني يملئها.

قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر: بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسرهما ومعناها واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة.

(إِلَى الْمَدِينَةِ) قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها في الإسلام طرسوس.

(فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أي: أحل طعاما حتى لا يكون من غصب أو سبب حرام وقيل: أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم وقال الضحاك: أطيب طعاما وقال مقاتل بن حيان: أجود طعاما وقال عكرمة: أكثر وأصل الزكاة الزيادة وقيل: أرخص طعاما¹.

(فَلْيَاتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) أي: قوت وطعام تأكلونه (وَلْيَتَلَطَّفْ) وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (وَلَا يُشْعِرَنَّ) ولا يعلمن (بِكُمْ أَحَدًا) من الناس.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (2)

(إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أي: يعلموا بمكانكم (يَرْجُمُوكُمْ) قال ابن جريج: يشتمونكم ويؤذونكم بالقول وقيل: يقتلوكم وقيل: كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل: يضربوكم (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) أي: إلى الكفر (وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا) إن عدتم إليه. (3)

وزعم أحد الباحثين أن الله -جلت قدرته- قد أوقف وظيفة السمع ضمن وقف جميع الوظائف العضوية لأجسامهم بصفة وقتية ، فلم تبصر العين بالرغم من كونها مفتوحة (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ)، ولم تتحرك العضلات بالرغم من أنهم أحياء (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)، ولم تتغير هيئتهم على الرغم من مرور سنين عدداً عليهم بالكهف (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

(1) تفسير البغوي ص 295 - 296

(2) سورة الكهف الآية رقم 20

(2) تفسير البغوي ص 295 - 296

بَعْضَ يَوْمٍ) ، وحالتهم هذه تقارب حفظ أعضاء الإنسان بطريقة وقف العمليات الحيوية والتي تتم غالبًا بالتبريد، وهي تستخدم الآن بشكل واسع في العالم.

وتشير المراجع العلمية إلى أن التعرض للبرودة الشديدة يؤدي إلى انخفاض كبير في¹ درجة حرارة الإنسان ، والشخص الذي انخفضت حرارته انخفاضاً كبيراً يصبح شبيهاً بالميت، إلا أنه يكون محمياً إلى حد ما من نقص الأوكسجين وانخفاض ضغط الدم وفشل الدورة الدموية، وفي حالات عديدة.. فإن الشفاء التام قد يحدث ؛ خاصة للشباب من هذه الحالات ، ولهذا لا يجب اعتبار أي إنسان تعرض للبرودة الشديدة وانخفضت درجة حرارته انخفاضاً شديداً ميتاً، وذلك حتى يتم دفنه تماماً، وإجراء الإسعافات اللازمة له، وقد أصبح اليوم لحفظ الأعضاء ضرورة كبيرة... ولو أن أهل الكهف كانوا نيماً فقط لاحتاجوا إلى الماء والغذاء، ولأيقظتهم الحاجة إلى التبول بعد بضع ساعات؛ لكن الله - سبحانه وتعالى- قد أوقف جميع الوظائف الحيوية وأبقى الأجسام في صورة حياة، كما يتم حفظ الأعضاء اليوم؛ مثل ضغط الدم والقرنية والكلية والكبد والقلب وغيرها حين زراعتها في أشخاص آخرين، وكذلك ما نراه اليوم من إمكانية حفظ الأجنة وإلى عودة الحياة لأشخاص دفنوا تحت الجليد لعدة أيام ثم عادت إليهم الحياة بعد تدفئتهم، خاصة لصغار السن، فيمكن بالتبريد وقف جميع عمليات الهدم التي تتسبب في دمار الأنسجة . والله أعلم .

تنبيه

غاب عن هذا الباحث أن ما حدث لأصحاب الكهف كان كرامة لهم والكرامات أمور خارقة للعادة يعني لا تخضع لنواميس الكون ولا يمكن أن تعلق أو تحلل تعليلاً وتحليلاً علمياً إذ أنها لا تخضع للعلم التجريبي فهي أمور غيبية ، و مهمة العلم فقط تقربها إلى الأذهان لا أن يحللها ؛ فالكرامات أمور خارقة للعادة خارجة عن الأسباب المادية .

نفحات من صحبة الصالحين !

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾⁽²⁾ لما سار الفتية في طريقهم نحو الكهف ، تبعهم كلب لعله

كان لأحدهم ، والوصيد فناء الكهف ، وقيل: عتبه أو بابه .

و المعنى كانوا على ما وصف من الحال ، والحال أن كلبهم مفترش بذراعيه باسط لهما بفناء الكهف ، وفيه إخبار بأنهم كان لهم كلب يلازمهم ، وكان ماكنهم طول مكثهم في الكهف.

وحشة ورهبة !

﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾⁽¹⁾

(1) تأملات في قصة أصحاب الكهف(2) موقع الالكتروني <http://islamqt.com/ar/show-article.php?aid=92>

(2) سورة الكهف الآية رقم 18

أي لو أشرفت عليهم وهم نيام في كهفهم على هذه الحال لوليت منهم فرارا من الوحشة والرهبنة التي حفظهم الله بها ، وملئت منهم رعبا حين تطبع صورتهم في ذهنك فلا تكاد تفارقك .

من الكهف إلى المدينة

يقظة وحيرة وحذر وحيطة

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ لَيْسَاءَ لَوَا بَيْنَهُمْ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَنْزَكَى طَعَامًا
فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (2) كان أول تساؤل لهم حين قاموا من نومهم فقال بعضهم ((كَمْ لَبِئْتُمْ)) فأجاب آخرون ((لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)) وغاب عنهم أنهم ناموا مئات السنين ، فرد عليهم آخرون ((قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَنْزَكَى)) أي أشهى وأطيب ،وقيل هو الحلال الطيب ، ((فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)) أي فوضوا أمر ذلك إلى الله تعالى وانشغلوا بما يصلحكم وهو إحضار الطعام .

وفي هذا دليل على أنهم لم ينووا طول البقاء في الكهف وإلا لتزودوا بما يكفيهم من الطعام والشراب مدة لبثهم فيه .

قال تعالى ﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾

أي يبالي في الحذر والحيطة ، والتخفي أو يتلطف في الشراء ، فلا يتعنت مع البائع أو يبخسه حقه أو يتلطف مع البائع ، يتفطن له حتى لا يغبنه ، قال النسفي : " وليتكلف اللطف فيما يبشره من أمر المبايعه ، حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف " (3)

المطلب الخامس : إحياء الموتى (وكذلك أعثرنا عليهم)

(1) سورة الكهف الآية رقم 18

(3) سورة الكهف الآية رقم 19

(1) تأملات في قصة أصحاب الكهف (2) موقع الإلكتروني <http://islamqt.com/ar/show-article.php?aid=92>

﴿وكذلك أعرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا مريب فيها إذ تتنزعون بينهم أمرهم فقالوا

ابنوا عليهم بنيانا أمرهم أعلمهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴿(1)

يقول تعالى : (وكذلك أعرنا عليهم) أي : أطلعنا عليهم الناس (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها)

ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة . وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا : تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد . فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك .

وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة ، في شراء شيء لهم ليأكلوه ، تنكر وخرج يمشي في غير الجادة ، حتى انتهى إلى المدينة ، وذكروا أن اسمها دقسوس وهو يظن أنه قريب العهد بها ، وكان الناس قد تبدلوا قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، وتغيرت البلاد ومن عليها ، كما قال الشاعر :

أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحي غير رجاله

فجعل لا يرى شيئا من معالم البلد التي يعرفها ، ولا يعرف أحدا من أهلها ، لا خواصها ولا عوامها ، فجعل يتحير في نفسه ويقول : لعل بي جنونا أو مسا ، أو أنا حالم ، ويقول : والله ما بي شيء من ذلك ، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة . ثم قال : إن تعجيل الخروج من هاهنا لأولى لي . ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام ، فدفع إليه ما معه من النفقة ، وسأله أن يبيعه بما طعاما . فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها ، فدفعها إلى جاره ، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون : لعل هذا قد وجد كنزا . فسألوه عن أمره ، ومن أين له هذه النفقة ؟ لعله وجدها من كنز . ومن أنت ؟ فجعل يقول : أنا من أهل هذه المدينة وعهدي بما عشية أمس وفيها دقيانوس . فنسبوه إلى الجنون ، فحملوه إلى ولي أمرهم ، فسأله عن شأنه وعن أمره حتى أخبرهم بأمره ، وهو متحير في حاله ، وما هو فيه . فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف متولي البلد وأهلها ، حتى انتهى بهم إلى الكهف ، فقال : دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي ، ﴿(2) فيقال : إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه ، وأخفى الله عليهم خبره ويقال : بل دخلوا عليهم ، ورأوهم وسلم عليهم

الملك واعتنقهم ، وكان مسلما فيما قيل ، واسمه تيدوسييس ففرحوا به وآنسوه بالكلام ، ثم ودعوه وسلموا عليه ، وعادوا إلى مضاجعهم ، وتوفاهم الله - عز وجل - فالله أعلم .

قال قتادة : غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فمروا بكهف في بلاد الروم ، فأروا فيه عظاما ، فقال قائل : هذه عظام أهل الكهف ؟ فقال ابن عباس : لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلاثمائة سنة . رواه ابن جرير .

وقوله : (وكذلك أعتزنا عليهم) أي : كما أرقدناهم وأيقظناهم بميثاقهم ، أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي : في أمر القيامة ، فمن مثبت لها ومن منكر ، فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم) فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم (أي : سدوا عليهم باب كهفهم ، وذروهم على حالهم) قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا (

حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين : أحدهما : إنهم المسلمون منهم . والثاني : أهل الشرك منهم ، فالله أعلم .

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ . ولكن هل هم محمودون أم لا ؟ فيه نظر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم

وصالحهم مساجد " يحذر ما فعلوا . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق ، أمر أن يخفى عن الناس ، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده ، فيها شيء من الملاحم وغيرها⁽¹⁾

الأمة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم . وذلك أن دقيانوس مات ومضت قرون وملك أهل تلك الدار رجل صالح ، فاختلف أهل بلده في الحشر وبعث الأجساد من القبور ، فشك في ذلك بعض الناس واستبعده وقالوا : إنما تحشر الأرواح والجسد تأكله الأرض . وقال بعضهم : تبعث الروح والجسد جميعا ؛ فكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يتبين أمره لهم ، حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع إلى الله - تعالى - في حجة وبيان ، فأعثر الله على أهل الكهف ؛ فيقال : إنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكرت دراهمه لبعث العهد ، فحمل إلى الملك وكان صالحا قد آمن من معه ، فلما نظر إليه قال : لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك ، فقد كنت أدعو الله أن

يرينهم ، وسأل الفتى فأخبره ؛ فسر الملك بذلك وقال : لعل الله قد بعث لكم آية ، فلنسر إلى الكهف معه ، فركب مع أهل المدينة إليهم ، فلما دنوا إلى الكهف قال تلميذا : أنا أدخل عليهم لئلا يربعوا فدخل عليهم فأعلمهم الأمر وأن الأمة أمة إسلام ، فروي أنهم سرّوا بذلك وخرجوا إلى الملك وعظموه وعظّمهم ثم رجعوا إلى كهفهم . وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدثهم تلميذا ميتة الحق ، على ما يأتي . ورجع من كان شك في بعث الأجساد إلى اليقين . فهذا معنى أعرشنا عليهم . ليعلموا أن وعد الله حق أي ليعلم الملك ورعيته أن القيامة حق والبعث حق إذ يتنازعون بينهم أمرهم . وإنما استدلوا بذلك الواحد على خبرهم وهابوا الدخول عليهم .⁽¹⁾

لقد آمن أهل المدينة التي خرج منها الفتية، وهلك الملك الظالم، وجاء مكانه رجل صالح. لقد فرح الناس بهؤلاء الفتية المؤمنات. لقد كانوا أول من يؤمن من هذه القرية. لقد هاجروا من قريتهم لكيلا يفتنوا في دينهم. وها هم قد عادوا. فمن حق أهل القرية الفرح. وذهبوا لرؤيتهم.

وبعد أن ثبتت المعجزة، معجزة إحياء الأموات. وبعدها استيقنت قلوب أهل القرية قدرة الله - سبحانه وتعالى - على بعث من يموت، برؤية مثال واقعي ملموس أمامهم. أخذ الله أرواح الفتية. فلكل نفس أجل، ولا بد لها أن تموت. فاختلف أهل القرية. فمنهم من دعى لإقامة بنيان على كهفهم، ومنهم من طالب بالعبرة ليست في العدد، وإنما فيما آل إليه الأمر. فلا يهم إن كانوا أربعة أو ثمانية، إنما المهم أن الله أقامهم بعد أكثر من ثلاثمئة سنة ليرى من عاصرهم قدرة على بعث من في القبور، ولتتناقل الأجيال خبر هذه المعجزة جيلا بعد جيل.

المبحث الثالث : أهم الدروس المستفادة من قصة أصحاب الكهف :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أثر التفكير في الدلالة على التوحيد

المطلب الثاني : قوة الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الثالث : مصاحبة الأخيار

المطلب الأول : أثر التفكير في الدلالة على التوحيد:

يقول الفيلسوف الوجودي " كارل ياسبيرس " ليست هناك فلسفة وجود واحدة بل هناك فلسفات وجود كثيرة ومتنوعة وأنا أقول ليست هناك فلسفات كثيرة بل هناك فلسفة واحدة أي ليس هناك حقائق بل حقيقة واحدة على اعتبار أن الفلسفة في حد ذاتها بحث عن الحقيقة. فالذي دفع كارل ياسبيرس إلى القول بالكثرة والتعدد وهو وجود أكثر من تصور وأكثر من رأي في المسألة الواحدة. لكن المتأمل بعقله يستطيع أن يبصر وراء هذا التنوع وهذه الكثرة وحدة جامعة ، ومأتى هذه الوحدة هو وجود مدبر واحد للكون وبالتالي هناك علة واحدة من حيث النظام و الغاية و الهدف. وحتى العقل البشري يشهد بذلك ولا يمكن أن يتصور إلا وجودا واحدا مرتبط الأجزاء والمظاهر كما أنّ هذا الوجود لا يمكن أن يفصل عن مصدره ولو لحظة من الزمن. إلى جانب أنّ من طبيعة العقل البحث عن العلة والوحدة ويكره التركيب والتجزؤ. والإنسان العاقل لا يمكن أن يعترض على تصرف هذا الخالق الموجد المالك لما أوجد وخلق . وبما أنّ الإنسان شأن من شؤون الوجود الواحد المطلق فإنه عليه أن لا يتصور أنه مستقل في أفعاله استقلالاً تاماً بالنسبة لموجده ، ذلك أن الاستقلال الحقيقي في الفعل يحتم القول بالاستقلال الحقيقي في الوجود وهذا يخالف الواقع. و الإنسان برغم شعوره بقدرته واستقلاله يشعر من جهة أخرى بأنه جزء من الكون وهو فيه فاعل ومنفعل في نفس الوقت ثم هو يرتبط بما تحته من طريق طبيعته المادية ويرتبط بما فوقه ارتباطاً حقيقياً بما يحمله من روح وعقل ونفس . فهو إن صحّ التعبير حلقة اتصال بين عالمين لهذا السبب وصفه الفيلسوف الألماني " كانط " بقوله إنه مواطن في عالمين " إنّ على الإنسان باعتباره مخلوقاً لإله حكيم ومدبر أن يستشعر هذا الوجود بفعل خالقه له فيه فعل لأنه موجد له ولقواه وملكاته من جهة كما عليه في نفس الوقت أن يستشعر حريته وقدرته من جهة ثانية ، وهذا ليس فيه تناقض كما يعتقد البعض باعتبار أنّه صادر من جهة واحدة(1) .

إن مسألة العقل هي مسألة شديدة الصلة بخالقيته تعالى وسائر صفاته ولا سيم بتوحيد هـ ولهذا نجد القرآن الكريم يقدر العقل الحر والتفكير الجريء وينعى عن التقاليد الجامدة والمعتقدات الموروثة. فقد أنكر على القوم محاكاتهم آباءهم فيها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . كما قضى الإسلام

على الأسباب و العوامل التي جمدت روح الخلق والإبداع لدى المسلمين . لقد أكد القرآن على وحدة الله وكرامة الإنسان وقوة عقله وسلطانه على جميع الموجودات . كما أنه

يدعو إلى التحرر من الوثنية والكهنوتية ، فقد أبطل القرآن سلطان الأحبار والرهبان والوسطاء بين العبد والرب ، فلا ترجمان بين الله تعالى وعباده ولا أحد يملك التحريم والتحليل والغفران ويقضي بالحرمان أو بالنجاة . فالخطاب في القرآن إنما يتجه إلى عقل الإنسان حرا طليقا من سلطان الهياكل والمخاريب وسلطان الكهنة والقساوسة . وهذا من شأنه أن ينمي في الفرد الإحساس بالمسؤولية ويفتح لعقله وروحه منفذا واسعا إلى الإلهية . كما أن مسألة التوحيد تبعث في النفوس مشاعر القوة والعزة والكرامة . والتوحيد يتطلب من أتباعه الإيمان بالله واحد لا شريك له والخضوع لإرادته والإسلام له لكن يجب أن لا نفهم من ذلك الخضوع خضوع العبيد وإنما يجب أن نفهم منه انقياد الذات انقيادا حرا كله ثقة وإيمان ولقد أطلق النبي على هذا الانقياد الإرادي كلمة إسلام . إن الخضوع المطلوب في الإسلام إنما هو أن يخضع المرء لله وحده لا لأحد غيره لأن الإسلام يفرق بين الخضوع لله والخضوع للبشر وينظر إلى هذا الخضوع الأخير على أنه ضرب من الشرك يجب تجنبه . تحرير الإنسان من الطبيعة : إن الجهل بالشيء ينشئ غربة قائمة بينه وبين الجاهل به وهذه حقيقة لها من الشواهد ما يجده كل إنسان في نفسه وهذه الغربة تتجلى في جملة من المشاعر و الأحاسيس كالخوف والحزن والكآبة والتعلق بالأوهام والإعراض عن المجاهدة . يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحُسْنَى قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1) إن هؤلاء البشر جهلوا أنّ الله تعالى هو الخالق الحقيقي للكون وهو المسيطر عليه فأدى بهم هذا الجهل إلى التعلق بالأوهام من اعتقاد طائر الخير والبركة وطائر الشؤم . وأخذوا يفسرون بهذا التصور أحداث الطبيعة فيما تعطي من النعم وما تبدي من القحط . أو من خلال تفسير الظواهر الطبيعية كالبراكين والزلازل والطوفان والفيضانات والجفاف ... تفسيرات مثبولوجية خرافية لا تمت للواقع أو المنطق بصلة ، كما حدث في عهد عمر بن الخطاب مع أقباط مصر حيث اعتادوا على تقديم قربان كل سنة إلى النيل باعتباره إلهما يجب إرضاءه والتقرب منه حتى يفيض عليهم ببركاته فيسقي أرضهم ويروي عطشهم ، لكن والي مصر أمرهم بالتخلي عن هذه العادة بأمر

من خليفة المسلمين عمر بن الخطاب . باعتبار أنّ هذا الاعتقاد هو ضرب من الشرك ويتعارض مع مسألة التوحيد الصحيح فنهر النيل لا يجري من تلقاء نفسه وليس بإله خير

أو بركة كما يعتقد الأقباط وإنما هو مسخر من طرف الله إذا شاء أفاضه وإذا شاء حبسه . فعوض تأليه هذه الظواهر الطبيعية المخلوقة على الإنسان فهمها وتصور حقائقها والعلم بقوانينها وهذا سيولد ألفة مع هذه الظواهر وسينقلب الخوف إلى أمن والضعف إلى قوّة وسيطرة واستغلال . فالمعرفة بحقائق الأشياء وحصول فكرة شاملة عليها تبدل مشاعر الخوف والقلق إلى طمأنينة وسيطرة وأمان . فالعلم بالخالق وصفاته والعلم بالطبيعة وقوانينها يزيل من النفس الحيرة من أمر الوجود مأتى ومصيرا ، ويزيل الخوف والهلع من أحداث الطبيعة كما يزيل الضيق والقنوط من قحطها مادام الله هو الخالق والمدبر والمسيطر وما دام للطبيعة قوانين وسنن سيرها الله تعالى عليها بل إنّ العلم بما يمهد إلى الانطلاق في الكون والسيطرة عليه واستغلاله فضلا عن انتفاء الحيرة والغربة .

التوحيد يحجر الإنسان من شهوات نفسه : ربّما أن هذه هي الحرية الحقة التي أرادها الله للناس أجمع وبعث من أجلها أنبياءه ورسله تلك التي تنطلق منها بقية معاني الحرية وهي تحرر الفرد من شهوات نفسه . وهذه الحرية بحق تعد من أكثر أنواع الحريات تأثيرا على حياة الفرد والمجتمع . والرق الحقيقي هو الإنسان الذي يسير وفق أهواء نفسه وشهواتها . فقد ورد في الأخبار الكثير الذي يصف الإنسان بكونه فاقدا للحرية فيما لو خضع لسultan شهواته من قبيل : + الإنسان عبد الشهوة أذل من عبد الرّق + عبد الشهوة أسير لا ينفك أسره + مغلوب الشهوة أذلّ من مملوك الرق ويعلق " سبينوزا " على هذا بقوله : " ثمة من يظن الحرية والقوّة في قدرته على إتباع هوى نفسه وأن في اعتبار التمسك بالأخلاق والفضائل ضربا من القيد والأسر غافلا عن إتباع أهواء النفس هو الأسر والعبودية بعينها إنّ طريق الخلاص يكمن في أن نرى العبودية ضعة فنبتعد عنها بوجوهنا وأن نلتفت إلى الحقيقة ونسعد بها ، وبديهي أن بلوغ هذا المقام ليس سهلا يسيرا " إنّ الحرية هنا تعني ضبط النفس إذ لا يعد حرّا من لا يتمكن من ضبط نفسه فالطمع والأناية أحد الوجوه للعبودية التي هي نقيض الحرية وفي هذا يقول على بن أبي طالب كرم الله وجهه : " لا يسترقنك الطمع وقد جعلك الله حرّا " فالاسترقاق يقضي على الحرية إذا تمكن الطمع في النفس البشرية . كيف نفهم إشكالية الحرية ؟ ما دام الله هو الموجد وهو الحافظ للوجود في بقائه الظاهر في المدة المقدر له وطابع كل شيء على ما هو عليه من أفعال طبيعية أو إرادية فلا شك أن كل شيء مادام من آثار فعله فهو في ميدان قدرته المطلقة وهذا شيء منطقي واضح . وهو لا يضير

المخلوقات بل لها أن تسعد بأنها ليست في عزلة ولا في قطيعة عن المصدر الأعظم لوجودها .وهنا نستطيع أن نفهم المعنى الحقيقي للآية القرآنية (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)⁽¹⁾ وقوله تعالى : (وما أرميت إذ أرميت ولكن الله رمى)⁽²⁾ فالله وان كان قد أوجد الإنسان حرا قادرا مريدا فانه يريد أن ينبهه إلى أن لا ينسى أنه لم يصبح إلها آخر ، بل هو لا يزال في حضرة وجوده ومرتبطا به وداخلا في نطاق الملك الإلهي .إن الإنسان العاقل الذي قد نفذ في كيانه الشعور العميق بأنه مخلوق فيريد أن يخرج عن حوله وقوته وينسب الخير لله والشر لنفسه أو يريد أن ينسب كل شيء لله نسبة ميتافيزيقية لا مادية صورية لا فعلية بحيث يجد في القرآن ما يناسب ذلك إن المؤمن الحقيقي المعتز بفعله للخير المعترف بالمسؤولية في فعله للشر يجد ما يرضي شعوره بذاته ويتفق مع العدالة التي يتصورها .وإذا احتج متسائل لماذا يوجد الشر والأشرار في الكون على الإطلاق ؟ فليحاول كما حاول الفلاسفة أن يمحص أولا معنى " الشر " بوجه عام و أن يميز بين الشر الميتافيزيقي الحقيقي المطلق وبين الشر الاعتباري النسبي ، وليعلم أن الشر الأول غير موجود في الكون وأن الثاني مجرد نقص أو فشل أو خير أقل أو من اللوازم الطبيعية للكائن المحدود أو الكائن الروحاني الملابس للمادة .والشر ليس له علة فاعلة بالمعنى الحقيقي بل هو شيء سلبي فقط لا بد منه لظهور الخير ومعرفته فلولا الشر لا ما عرفنا الخير ورغبنا فيه واتبعناه ، فالشر إذن له وظيفته وله من القيمة بمقدار .والشر النسبي مع أنه موجود فانه مهما كان أمره أقل من الخير وهو على كل حال لا يفسد نظام الوجود وقد يكفي من عظم الخير للكائن أن يكون قادرا على معرفة الشر والتغلب عليه .اذن ما يمكن استخلاصه هو أن الإنسان حر مختار بمعنى مقيد كالجبور بمعنى ولو كان حرا قادرا كاملا بالمعنى المطلق لكان إلها، واذن فمهمته أن يعمل جاهدا حتى يحقق في نفسه صفات الوجود الحق الذي هو منه .⁽³⁾

(1) سورة الانسان الآية رقم 30

(2) سورة الانفال الآية رقم 17

(3) حول التوحيد و أبعاده ، يونس عطية موقع الالكتروني (مداد الكلمات)

المطلب الثاني : قوة الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان مبني على الإذعان التام والانقياد الكامل؛ ولا شك أن الإيمان له ثمراته العاجلة في الدنيا والآخرة.

وقد ذكر بعض الأفاضل هذه الثمرات بقوله:

- 1- أنه من تمام الإيمان ولا يتم الإيمان إلا بذلك.
- 2- أنه من تمام الإيمان بالربوبية لأن قدر الله من أفعاله.
- 3- رد الإنسان أموره إلى ربه لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها ويضيف السراء إلى الله ويعرف أنها من فضل الله عليه.
- 4- إضافة النعم إلى مسديها، لأنك إذا لم تؤمن بالقدر أضفت النعم إلى من باشر الإنعام، وهذا يوجد كثيرا في الذين يتزلفون إلى الملوك والأمراء والوزراء، فإذا أصابوا منهم ما يريدون جعلوا الفضل إليهم، ونسوا فضل الخالق سبحانه.
- 5- أداء عبادة الله - عز وجل - فالقدر مما تعبدنا الله - سبحانه وتعالى - به.
- 6- الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك، فالجوس زعموا أن النور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، والقدرية قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد، فهم أثبتوا خالقين مع الله وهذا شرك، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد لله.
- 7- الشجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت إلا إذا جاء أجله، وأنه لن يناله إلا ما كتب له، فيقدم غير هيب ولا مبال بما يناله من الأذى والمصائب في سبيل الله، لأنه يستمد قوته من الله العلي القدير الذي يؤمن به ويتوكل عليه، ويعتقد أنه معه حيثما كان، والتوكل على الله معنى حافز وشحنة نفسية موجهة تغمر المؤمن بقوة المقاومة وتملؤه بروح الإصرار والتحدي وتقوي من عزيمته.
- 8- قوة الإيمان، فالذي يؤمن بالقدر يقوى إيمانه، فلا يتخلى عنه ولا يتزعزع أو يتضعع مهما ناله في ذلك السبيل.
- 9- الصبر والاحتساب ومواجهة الأخطار والصعاب، فالذين لا يؤمنون بالقدر ربما يؤدي الجزع ببعضهم بالله وبعضهم يجن، وبعضهم يصبح موسوسا.

10- الهداية، كما في قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، وقال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله فيسلم ويرضى.

11- التوكل واليقين والاستسلام لله، والاعتماد عليه كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾

12- الإخلاص، فالذي يؤمن بالقدر لا يعمل لأجل الناس، لعلمه أنهم لن ينفعوه إلا بما كتبه الله له.

13- إحسان الظن بالله وقوة الرجاء. فالْمُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ حَسَنُ الظنِّ بِاللَّهِ، قوي الرجاء به في كل أحواله.

14- الخوف من الله والحذر من سوء الخاتمة، فالْمُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ دائماً على خوف من الله، وحذر من سوء الخاتمة، إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فلا يفتخر بعمله مهما كثر، فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء، والخواتيم علمها عند الله.

15- الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها، وذلك مثل رذيلة الحسد فالْمُؤْمِنُ لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء، ومنع من شاء ابتلاءً وامتحاناً منه، وإنه حين يحسد غيره إنما يعترض على القدر.

16- تحرير العقل من الخرافات والأباطيل، فمن بديهيات الإيمان بالقدر الإيمان بأن ما جرى وما يجري وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله، وأن قدر الله سر مكتوم، لا يعلمه إلا هو، ولا يطلع عليه أحد إلا من ارتضى من رسول.⁽³⁾

(1) سورة التغابن الآية رقم 11

(2) سورة التوبة الآية رقم 51

(3) موقع الانترنت <http://www.al-islam.com/Content.aspx?pageid=1141&ContentID=2266>

المطلب الثالث: مصاحبة الأخيار

مصاحبة الأخيار، تجلب المنافع وتدفع الأضرار!

خلق الله الإنسان بفطرته ليعيش مع غيره، وما سُمِّي الإنسان إنساناً إلا لأنه يأنس ويستأنس بالغير، ولا يستطيع أن يعيش وحده أبداً، والأصل في الإنسان أنه يعايش الآخرين ويعاشرهم لنيل معاشه ويسعد في معاده، والطريق إلى الله يحتاج إلى مجهود ومغالبة للنفس والشيطان.

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فأنهم ، ومن ثم كان لزماً للمسلم أن يكون له في هذه الدنيا صديق صالح يعينه على الطاعة ويبعده عن المعاصي؛ قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ

نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝﴾ (1)

وعلى قدر ما رغب الإسلام في صحبة الأخيار وأخوتهم على قدر ما حذر من صحبة الأشرار والقرب منهم، قال -صلى الله عليه وسلم-: "قال تعالى: "المتحابون في جلالي على منابر من نور، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة".

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "إن لله عبداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله تعالى". فقال الصحابة: من هم يا رسول الله؟! قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يفزعون إذا فزع الناس" (2). وقد أعطى أبو بكر -رضي الله عنه- أروع نموذج وأحسن مثال للصحبة حين قال: "شرب رسول الله حتى ارتويت". عندما سقاه في الغار وهو عطشان.

إن أحدث النظريات في العلوم البشرية: علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التواصل: تؤكد أن المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام، تعالج كل الأدواء المستعصية، ولا شك أن ذنوب الناس لو كانت لها رائحة لما استطعنا أن نعيش على الأرض من ننتها.

(1) سورة الكهف الآية رقم 28

(2) الراوي: أبو مالك الأشعري المحدث: الهيثمي ، مجمع الزوائد 10 / 279

فالواجب على الانسان مصاحبة أخاه بصدق ويصافحه، فقد جعل الرسول الأكرم المصافحة من الأخ لأخيه وسيلة لتساقط الذنوب ومغفرتها، حيث قال -صلى الله عليه وسلم-: "إذا لقي المسلم أخاه المسلم، فأخذ بيده تحاتت ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف"⁽¹⁾.

فقد أكد على ذلك -صلى الله عليه وسلم-: "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا"⁽²⁾.

واعلموا -أيها المسلمون- أن المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال، فانظر -أخي المسلم- إلى من تصاحب، فإذا كنت تحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فعليك بمصاحبة من يحبه ويقتدي به من أهل الصدق والحياء وأهل الوفاء والإيمان، عليك بمصاحبة الأخيار لجلب المنافع ودفع الأضرار، وابتعد عن أهل الغدر والغش والكذب والزور، وعن المتتبعين لعورات المسلمين وأهل الفسق والفجور وأهل الفساد من الفارغين، قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن مثل المجلس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة"⁽³⁾ فيأياكم ثم إياكم- أن تصاحبوا كذاباً، أو سارقاً، أو زانياً، أو ذا الوجهين، أو خائناً لأمانات الله والناس، أو شاهد زور، أو آمراً به؛ فإن الطباع تؤثر.⁽⁴⁾

(1) الراوي: سلمان الفارسي المحدث: الهيثمي، مجمع الزوائد 88/40

(2) الراوي: البراء بن عازب المحدث: الألباني، صحيح أبي داود ص 5212

(3) الراوي: أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس المحدث: مسلم، صحيح ص 2628

(4) <http://www.alukah.net/sharia/1067/66005/#ixzz2zvWvBD6J>

الخاتمة :

من هذا الروض الباسم أقتطف هذه السورة التي عشت معها لحظات ممتعة وقصص رائعة .
إنها قصص عجيبة حافلة بالمواقف المضيئة والمشاهد المؤثرة قصة أولئك الفتية الذين خرجوا فارين
بدينهم معتصمين بربهم فأوهم المبيت إلى كهف أجمعوا أمرهم على البقاء فيه حتى طلوع النهار ،
ولم يخطر ببالهم أن نومهم سيطول ويتجاوز ثلاثة قرون ، فمكثوا فيه حتى أشرق عليهم فجر جديد
وأطلت عليهم شمس الحرية وأنوار العدالة ، بعد أن تعاقبت القرون وتداولت العهود وزال عهد
الطغاة .

لقد طال تجوالي بين كتب التفسير والمواقع أقرأ كل ما تيسر لي قراءته عن أولئك الفتية وتلك
السورة العظيمة .

وأأمل في قصتهم العجيبة وأجتهد في اقتباس العبر والعظات لكي أيقنت بعد طول تخليق في
أجوائها وغوص في أعماقها أنني أمام آفاق رحبية وبحار عميقة لا ساحل لها وأثمار مطردة لا تنضب

وصدق الله عز وجل إذ يقول في هذه السورة الكريمة ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (1) وقبل أن أنتهي من خاتمتي أتوجه إلى خالقي
ومولاي أن يكتب لعملي هذا القبول وأن يرزقني الإخلاص ، وفي الختام أقول كما علمنا ربنا ﴿ إِنَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا مَرْشَدًا ﴾ (2)

المراجع

- 1) أبو القاسم ، محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل (1415 – 1995) ، دار الكتب العلمية
- 2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، (1420) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ، الناشر: دار طيبة
- 3) أنيس، إبراهيم و عبدالحليم منتصر، عطية الصواحي، ومحمد خلف الله أحمد ، المعجم الوسيط
- 4) البغوي، الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل (تفسير البغوي) ،(1409 هـ - 1989 م) الناشر: دار طيبة
- 5) الجصاص ، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الحنفي ، أحكام القرآن
- 6) الحازمي، حسين بن محسن أبي ذراع ، (1420) وقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة أضواء السلف ، الرياض ، ط 1 ،
- 7) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(1986) ، مختار الصحاح، مكتبة لبنان
- 8) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير
- 9) رضا، محمد رشيد ، تفسير القرآن الحكيم (المنار)
- 10) الزمخشري ، محمود بن عمر أبو القاسم جار الله، المحقق: خليل شيحا(2009)، تفسير الكشاف ، الناشر: دار المعرفة
- 11) السحيباني، عبد الحميد بن عبد الرحيم، الفتنة وموقف المسلم فيها في ضوء القرآن ، الناشر : دار القاسم
- 12) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المحقق: سعد بن فواز الصميل ، الناشر: دار ابن الجوزي
- 13) الشاذلي، سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسن، في ظلال القرآن
- 14) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(1415)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
- 15) الشوكاني، محمد بن علي ، فتح القدير ، دارة المعرفة بيروت
- 16) الشرقاوي، أحمد تأملات في قصة أصحاب الكهف(2) موقع الالكتروني

- (17) الاصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن ، (2009) المحقق والناشر : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز
- (18) صيد الفوائد موقع الالكتروني www.saaid.net
- (19) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، تحقيق:د عبد الله التركي ، جامع البيان، (1422 هـ - 2001 م) الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
- (20) العربي، أبو بكر ، (2003) أحكام القرآن ، الناشر: دار الكتب العلمية
- (21) العمر ، ناصر ، ١٠٠ فائدة من كتاب تدبر سورة الكهف ، موقع الالكتروني www.saaid.net
- (22) عطية ، يونس ، حول التوحيد و أبعاده ، موقع الالكتروني (مداد الكلمات)
- (23) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري،(1987) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، مكتبة لبنان.
- (24) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، (1427) ،الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، الناشر: مؤسسة الرسالة
- (25) المغامسي، صالح بن عواد، سلسلة محاسن التأويل تفسير سورة الكهف 1-16 (التفرغ النصي للمحاضرة)
- (26) منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب
- (27) موقع اسلام كوم

التمهيد.....(2)

المبحث الأول : مفهوم الفتنة في اللغة في القرآن الكريم

(4).....المطلب الأول : مفهوم الفتنة في اللغة

(5).....المطلب الثاني : تعريف الفتنة اصطلاحاً

(7).....المطلب الثالث : معاني الفتنة في القرآن الكريم

المبحث الثاني : أهم المحاور في قصة أصحاب الكهف ، وفيه خمسة مطالب :

(17).....المطلب الأول : أثر الشباب في نصره الحق (إنهم فتية آمنوا بربهم)

(21).....المطلب الثاني : من ثمار الإيمان الثبات (وربطنا على قلوبهم)

(24).....المطلب الثالث : الهجرة عند حدوث الفتن (وإذا اعتزلتموهم)

المطلب الرابع : الأخذ بالأسباب : اللجوء إلى الكهف ، اتخاذ الكلب حارساً ، اصطحاب

(27).....المال ، الأمر بأخذ الحيلة والحذر (وليتلطف ...)

(34).....المطلب الخامس : إحياء الموتى (وكذلك أعثرنا عليهم)

المبحث الثالث : أهم الدروس المستفادة من قصة أصحاب الكهف :

(39).....المطلب الأول : أثر التفكير في الدلالة على التوحيد

(43).....المطلب الثاني : قوة الإيمان بالقضاء والقدر

(45).....المطلب الثالث : مصاحبة الأخيار

(47).....الخاتمة

(48).....المراجع